صفحات من الذاكرة

أجرى الحوار جاسم عباس

مخضرمون عاشوا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاسوا من الاثنتين وذاقوا حلاوتهما، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالا ونساء، الى ان حققوا الطموح او بعضا منه، ومهما اختلفت مهنهم وظروفهم، فإن قاسما مشتركا يجمعهم الى الايام الخوالي.
القبس شاركت عددا من هؤلاء الأفاضل والفاضلات في هذه الاستكانة الرمضانية..

علاقة الجيرة كانت أقوى من الرحم

كان الجار يسمّي ابنه على اسم جاره

في مستهل لقائنا مع عبد الله سعود مبارك عبد العزيز الدليمي قال: نحن آل الدليمي من فريج الزهاميل بالقرب من البورصة الحالية، والحسينية المعرفية والخزعلية التي تسمى الآن الجديدة، من جيراننا بيت النويف والطوبرش والرشود، وغانم الدبوس، وحمود بن محمد الروضان، والرويح صاحب المكتبة، وبيت جمال اصحاب الكاركة مصنع او مطحنة لطحن السمسم لعمل الهردة والرهش، اجدادنا دخلوا البحر مع آل الروضان ومعرفي سفرا وغوصا، وعمنا عبد الكريم يعتبر اكبر معمر في الكويت، توفي عن عمر يناهز 120 سنة، ووالدي عمر 125 سنة، وكلهم من مواليد الكويت.

قال الدليمي: اسرتنا اسرة بحرية، قضينا كل اعمارنا في البحر، ولم نعرف مهنا اخرى كالنجارة والحدادة او صناعات اخرى، وميزة اهل الكويت انهم يعرفون بعضهم من خلال المهن او الحرف او بالبحر او البر، وانا اعرف والدك يا جاسم، كان صاحب قهوة على سيف چولان وفي ساحة الصفاة، ميزتنا اهل الكويت اننا نحب ارضنا، ويدنا واحدة متماسكة، لا محتاج عندنا، ولا صاحب حاجة، والجيرة كانت اقوى من الرحم. وقال الدليمي: سافرت تقريبا إلى كل دول العالم من اوروبا الى اميركا، وكثير من الدول الآسيوية، وقلت لاحد الاوروبيين انا لاتيني لا اتزوج الا واحدة فقط.

> لم نعرف حِرفاً سوى الغوص والسفر وأسرتنا قضت كل عمرها في البحر

> والدي عمره 125 سنة وعمنا عبد الكريم توفي عن 120 سنة

> القرض والسلف كان بالسر ولا يكتب حتى لا يعرف أولاده بعد مماته

> من أمراضنا قديماً: امحرول وايرب واملط ابو قشاش

> عمري 82 ورفيقي الدائم وصديقي هو الكتاب

● عبد الله الدليمي الاول من اليمين مع اولاده

الدراسة.. والعمل

قال: درست عند الحميدي والخنيني وملا مرشد، دخلت المدرسة وعمري 6 سنوات، ولم اكمل دراستي لان والدي اخذني معه الى الصبية شمال الكويت، اتذكرها فيها ابنية بسيطة يؤخذ منها الحصى (الصلبوخ) للبناء، كان والدي من الذين يجمعون الحصم من بر الصبية على الجمال الى الشريعة، وهي منطقة بالقرب من الصبية، ومن ثم تنقل الكميات الى ايران بواسطة الدوب جمع دوبه من السفن المصنوعة من الحديد تنقل البضائع، واتذكر المقاول الكبير لجمع ونقل الحصم كان احمد الغانم، له مزرعة وبيت في تلك المنطقة، كنا نحفر الارض لنحصل على الحصم، ومن لا جمل عنده كان ينقل على الحمير.

اضاف الدليمي: ان يوسف الحداد هو صانع الاهباب جمع هيب، وهو قضيب طوله من ثلاثة الى اربعة اقدام، يستخدم لحفر الآبار، وهدم البيوت وسميت نقرة الحداد باسمه، والكاتب عند الغانم كان من اولاد الجسار، ووكيل عام على الصبية خالد محمد الغنيم، وهناك بعض العمال من قبل الشيخ احمد الجابر الصباح للمراقبة، وكانوا يرتدون الغترة والعقال والبنطلون، والمسؤول عن الكز (اي القياس الذي يقيس كمية الحصم) من الجسار ويقدم تقريره للغانم، والمسؤول عن الماجلة (اي المواد الغذائية) ابو احمد، ولا أذكر اسمه، كان يحمل المواد بالجالبوت، ذلك القارب الذي يستخدم للتنقلات وكنا نسميه Jolly-Boat اي قارب النزهة، وتحفظ المواد الغذائية في كانتين من الشينكو وامينه كان يقدم الغذاء نقداً أو ديناً عليك، وكان احمد الغانم رحمه الله لديه يخت (سفينة) اسمه «فرخ الطيارة» يتجول في بحر الصبية، وبعد الصبية دخلت الغوص مع والدي ودائرة المالية في بداية الخمسينات (1952) كانت الدائرة في بيت عربي في منطقة المسيل، كان عمري 16 سنة، وراتبي 70 روبية كنت اسلمه لوالدي، وتقاعدت بعد 31 سنة و6 اشهر.

الغوص منذ مئات السنين

وقال: عرفنا الغوص منذ مئات السنين، كنا نغوص لاستخراج اللؤلؤ، وكان الشعراء يصفونه كما قال احدهم:

«كجمانة البحري جاء بها
غواصها من لجة البحر».

وقديماً كان يستعمل اللؤلؤ في علاج كثير من الامراض اهمها آلام القلب ويقوي النظر، وكان يخلط بالكحل ليجلو النظر، وكان الكويتي يغوص فيسمى «غيص» واللؤلؤ نسميه «الدرة» و«الجوهر» و«الجمان» و«الفريدة» ويقول ابو تمام:

«كالدر والمرجان الف نظمه
بالشذر في عنق الفتاة الرود».

وقال: جهاز الغوص وادواته الفطام يوضع على الانف - الديين وعاء لجمع المحار - الخبط لاطراف الاصابع - الشمشول سروال بدلاً من الوزار - الزييل والايده وادوات اخرى يتحملها الغواص بالاضافة الى المخاطر والامراض لاجل البحث عن اللؤلؤ في هيرات الكويت (مغاصات) وغيرها.

وذكر الدليمي ابياتا من الشعر تخص الغواص ورافعي الشراع والجميع بصوت واحد مرددين:

«يا الله ويا الله شلنا واتكلنا على الله
ربي عليك اتكالي وبأمر الله شلنا
بيت الرسول مكة يا مدينة أوه أوه».

والنهام ملا علي الخرس كان ضريراً صوته عظيم وحزين ينادي ويصيح:

«صافي يا أحمد يا أحمد اسمه بالعرش احمد
انت المعجزات يا يوبا مكتوب باللوح هاشمي
ونسل الاكرام من صفاء الهاشمي
يا سعد عينه يا من شاهد قبته في الطيبة هاشمي».

وقال عن مغاصات اللؤلؤ التي تسمى «الهيرات» جمع هير، تبدأ الهيرات اي المكان الذي يوجد فيه المحار اي مكان اللؤلؤ، ففي الكويت مغاصات قريبة من السواحل تمتد حتى سلطنة عمان، واعمق هيرات الكويت «حولي» واقرب هير «قمرة»، ومن الاماكن: هير البلداني، الرقع، فلالوه، السهلاوي، العياي، الدام، ابو عصبية، ابو حد.

وهناك ابيات من الشعر وقصائد مشهورة عند الغواصين يرددونها في السفينة:

في حولي غبه مالها والي
غبة سودا وحنا نغوص ابها
والردي يقول يا عمري الغالي
والحجر لي اقبل على القوع هربها.

وقصيدة اخرى منها:

يا طويل الظهر وين انت رايح
تحسبن الغوص لعبك في البرايح

وبيت دائما يتردد:

الموت كله وسط الهير
والا المخابيط للجنة.

أحوالنا الصحية

وقال: مرت على الكويت اوبئة عصفت بالآباء والاجداد، حتى امتدت الى الدول المجاورة منها: امراض العيون التي كنا نسميها «التراخوما» ومرض السل والجدري المعدي الذي ايضا انتشر، وبسبب البعوض والحشرات التي تنتقل بين هذه المناطق تكاثرت الامراض خاصة الملاريا، فهذا مرض الهيضة الذي يسمى الكوليرا بدأ من سواحل عمان يفتق ويقتل، والطاعون الذي سمي بالموت الاسود تعرضنا له، والجدري الذي استوطن عندنا اثار الرعب والخوف وكل ما اقوله الآن وانا عشته «يكفينا شره» كنت واقفاً عند الخباز وانا صغير سقط امامي احد المنتظرين ومات، قالوا من الطاعون وهذا قال الجدري جاءنا مرة ثانية، ولكن الحقيقة، أنه مرض الطاعون، ولكن الجدري وباء عشته، ملأ مستشفى الأمريكاني، قدرت الوفيات بأكثر من 2500 نفس أغلبهم من الأطفال، اجتاح المدن والبوادي، وأتذكر واستمر من عام 1932 منذ نهايته حتى 1933، وحتى من أصيب بالعمى، وببثور في الوجه، وسميت السنة بـ«سنة الجدري»، وهذا المرض كثيراً ما تردد على الكويت بسبب السفن التي كانت تمر على الكويت.

قال: من الأمراض التي كانت تصيبنا التهابات الأذن والجلد والروماتيزم، والزائدة الدودية، والحصبة، والكحة، ومرض الزهري التناسلي، وأمراض لم نكن نهتم بها، ولكن مع الأيام تظهر عوارضه وتعرف أسبابها مثل: مرض الجرب كنا نقول للمصاب به «أيرب»، أبرص مرض خبيث يصيب الجلد، وإمحرول الشخص المصاب لا يستطيع المشي لمرض في رجليه، المشلول هو عايب مقعد، وهناك من يجلس لا يستطيع القيام نقول له «نامت ريله» أو طاك له عِرج، والرخو أو الليونة في الجسم نقول عنه «مرهدي» أو «يتمزلك»، أو «ترف»، وهناك عوارض صحية تصيبنا نقول: صكّه راس، توثب ظهره، متكسر، معلعل، يفاكك، أملط، كلمة تعني عديم الشعر، وأمرد أيضاً، وخجاجه لضعيف البنية، رجيج أيضاً، أمراض لو يصاب فيها أي شخص في هذه الأيام لتجد لها علاج، «وإبعافية».

وبما أني من أسرة البحر في الغوص والسفر كنت أشاهد بعض الإخوان يصابون بأمراض خاصة بهم، فهذا مرض السمط يصيب الجلد، وأم زليغة بين الفخذين، والطنان مرض يصيب الأذن ويخرج منها الدم، وأبو قشاش، والشاقه الصداع النصفي، والعفطي سمك صغير كان من بين العلاجات التي تصيب جلد البحار.

وقال: أما العلاج فكان العفطي، وعشب السنامكي، والعشرج، والزعتر، والكحل للعين، والكي بالنار، والصداع بالحجامة، واللوزتين بدفع الإصبع الى داخل الفم، فكانت الغمازة أو الصكاطة تسمى الرفاعة، ولدغة الحيات تعالج بشراب الرمرام، وبجلد الشاة.

أفضل هواية الكتاب

وقال: بالرغم من كبر سني بلغت 82 عاماً، أنا من مواليد 1930، ولكن القراءة لم أفارقها، والكتاب مازال في يدي، وبركة الكتاب استدعاني مسؤول الميكانيكية في دائرة المالية، وتم تعييني كاتباً على بطاقات السيارات، وأول كتاب قرأته كان عن هتلر، وزاكوف، واستمررت في القراءة بدأت أطلع على كتاب بريجنيف، ومارشال بوغانين، وستالين، والمتنبي الذي مازلت معه، واحفظ بعضاً من شعره:

«بأبي الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلابيا»

وأنا أعشق وأحفظ الزهيريات وشعر البحر، كنا نجتمع في النقعة، ونجلس بالقرب من الفرمن تلك الخشبة المستطيلة يربط بها حبل الشراع، وعندما يأمر النوخذة بالحركة نرفع الباورة ونصيح «ربي عليك اتكالنا»، واتذكر بعضا من ابيات الشاعر سليمان الرشيدي:

يا الله اني طالبك بالدانة المسميه
الفلاقة لي وتصير التفق منشاني
اشتري منها الجمال وانحر الوسيمه
وانتحي مرتع ترتع به الغزلاني

وكنا نسمع من المودعين كلمات تذوب القلوب منها:

وادعتكم بالسلامة يا ضوى عيني
وفلاقكم ما غمض جفي على عيني

وقال عن احد الشعراء:

كقطر الغيث في الاصداف دراً
وفي جوف الافاعي صار سماً

وهذا يعني ويعتقد في القديم ان المحار يفتح اثناء المطر فينعقد حباً، فتتلقفه الافاعي فيكون سماً، ولا اعلم صحة الكلام.

حبوا الكويت

وقال لي كلمة اود قولها، حبوا الكويت مالنا غيرها، حبوا بعضكم بعضا، ولا تغريكم المغريات والفتن اللي جاءتنا ونسمعها هي دخيلة على مجتمعنا، ولا نعرف هذه السوالف من يوم خلقنا ربنا، نحن اسرة احدة، والله العظيم لا نعرف هذه الصيحات، كان الجار يسمي ولده على اسم جاره من حبه له، عباس الفودري سمى ابنه على ابن ملاية «زهرة» جارتهم، الناس كانوا اياويد (شرفاء - طيبون) حتى القرض السلف ما كان يسجل في الدفتر خوفا من ان يموت، ويعلم اولاده.

قال: علي عبد الوهاب لا انساه رحمه الله، جاءته امرأة قالت له الدلال جاءنا يريد ان يبيع بيتنا لان والدنا مطلوب، وانا عندي ايتام، دفع ثمنه، وسجل البيت باسم المرأة واولادها، وكثير من النواخذة تنازلوا عن حقوقهم للبحارة الفقراء، او الذين لم يحصلوا على شيء خاصة بعد وفاتهم، الله الله في الكويت، واحمدوا ربكم على هذه النعمة، زرت بلادين كثيرة، ولكن ماكو مثلها، لنحمد التآلف والأمن والامان والمحبة التي بيننا.

اعوذ بجلال وجهك الكريم ان ينقضي عنا الشيطان، انت الحفيظ والرحيم، وانت الحكيم والقدرة الكاملة، احفظ بلدنا الكويت من كل سوء.

● سفن الغوص مرفوعة